



خطبة صلاة الجمعة 19 / 7 / 2024 للشيخ الطيب محمد خير الشَّعَال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(آمنوا وعملوا)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خير نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

نحن في الخطبة الحادية عشرة من سلسلة عناونها: (الحياة الأسرية) لكنني اليوم وبسبب هذا الحر سأختصر هذه الخطبة ليكون الحديث في مضمار قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: 107].

مصطلح: "آمنوا وعملوا الصالحات" يتردد في القرآن الكريم أكثر من خمسين مرة:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: 1-3].

﴿وَالَّذِينَ وَالزُّيُنُونَ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: 1-6].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96].

وهكذا يتكرر هذا المصطلح في القرآن الكريم ليدعو المؤمنين إلى أن يستنفذوا أعمارهم وأوقاتهم في العمل الصالح.

جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «على كل مسلم صدقة».

هذه "صدقة" إعرابها: مبتدأ، والخبر محذوف تعلق به الجار والمجرور "على كل مسلم"، والتقدير: "صدقة واجبة على كل مسلم".

لما سمع الصحابة الكرام هذا الحديث خافوا؛ لأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو القائل بأن الصدقة واجبة، لكن من المسلمين من هو فقير ما عنده شيء يدفعه، ولا يملك مالاً يبذله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "واجبة" أي: كوجوب صلاة الجمعة وصلاة الظهر وصوم رمضان! لذلك "قالوا يا رسول الله أرأيت إن لم يستطع؟" قال: «يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق» أي: لا بد أن يتصدق المسلم، "قالوا يا رسول الله أرأيت إن لم يستطع؟" أي: إنه نزل إلى السوق وبحث عن عمل ولم يجد، هل هذا عذر له ليترك الصدقة! لا، قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» أي: يعمل من دون أجر، المهم أن يتحرك! "قالوا يا رسول الله أرأيت إن لم يستطع؟" كشخص عنده شلل رباعي، لا يستطيع أن يعمل بأجرة ولا من دون أجر، قال: «يأمر المعروف أو الخير» أي: يجب أن يعمل ويتكلم بالخير هكذا المؤمن والإيمان، الإيمان فعل والمؤمن فعال، ولا يوجد سنُّ تقاعد للمؤمن، ولا يوجد إجازة صيفية للمؤمن، ولا يوجد توقف عن العمل، ولا ساعات عمل محدودة ثم لا يعمل، ما دام المؤمن حياً عليه أن يعمل، كما قال تعالى: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾.

لفت بعضُ المفسرين أنّ الله عز وجل قال: ﴿عَمِلُوا﴾ ولم يقل: "فعلوا" وبين الفعل والعمل باللغة العربية فوارق منها: أن الفعل يحدث مرة واحدة، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: 6] فحادثة الفيل حصلت مرة واحدة، وكقول تعالى: ﴿قَالُوا أَأَتَتْكَ حَتَّىٰ بِأَهْلَيْتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: 62] سيدنا إبراهيم حطم الأصنام مرة واحدة، فالفعل يكون مرة واحدة، لكن العمل يتكرر، ولا يزال يتكرر ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

ثم قالوا يا رسول الله أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر فإنها صدقة». لفت شراح الحديث أنّ هذا الحديث فيه أسئلة من الصحابة للنبي ﷺ، "أرأيت إن لم يستطع؟" "أرأيت إن لم يستطع؟" حتى إذا قال لهم «يأمر بالمعروف أو الخير» قالوا له: "أرأيت إن لم يفعل؟" ولم يقولوا "أرأيت إن لم يستطع" لأنه لا يوجد مؤمن لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لكنه يفعل أو لا يفعل، قالوا أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر فإنها صدقة».

أيها الأخوة:

ما دامت شمس هذا النهار قد سطعت اليوم، وما زال يتردد نفسٌ في صدرك ودم ينبض في عروقك فهي فرصة جديدة لك لتعمل عملاً صالحاً بعد إيمانك بالله بفضله تعالى، فمهما استطعت أن تفيد من عمرك في الأعمال الصالحات فافعل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة: 7-8].

والحمد لله رب العالمين